تطور آراء العلماء في دراسة اعجاز القرآن الكريم:

تطورت دراسة اعجاز القرآن من خلال بحوث العلماء في الوجه المعجز منه، ويقول ابن سراقة:(اختلف أهل العلم في وجه اعجاز القرآن، فذكروا في ذلك وجوها كثيرة كلها حكمة وصواب، وما بلغوا في وجوه اعجازه جزءا واحدا من عشر معشاره).

ودراسة اعجاز القرآن تبقى مفتوحة للاجيال قابلة للتجديد والاضافة على دراسات السابقين بما تتوصل اليه أفهام اللاحقين وحصيلة مداركهم.

وهنا نقدم لمحة موجزة عن جهود العلماء بحسب مراحل تطور دراسات الاعجاز، متسلسلة زمنيا لنقف على أهم علماء الاعجاز، وخلاصة ما ذكره كل منهم كمساهمة في تطور هذا العلم.

القرن الثالث الهجري

في هذا القرن ظهر الطاعنون في اعجاز القرآن من شعوبية وملاحدة ، واخذوا بالطعن في نظم القرآن وبلاغته، فانكروا اعجازه، وصحة معانيه، ومن هؤلاء ابن الراوندي الملحد وعيسى بن صبيح المزدار، فانبرى لهم ثلة من علماء الأمة، وأبرز من يشار اليهم ممن بحثوا في اعجاز القرآن ابراهيم النظام المعتزلي، ثم جاء بعده تلميذه الجاحظ، ووضع مؤلفه الذي سماه(نظم القرآن)وهو رائد القول باعجاز القرآن بالنظم.

كما يشار في هذا القرن الى أبي عبيدة والفراء وابن قتيبة وما قدموه من دراسات جليلة تخدم درس الاعجاز القرآني.

القرن الرابع الهجري

امتاز هذا القرن بدرس الاعجاز والتصنيف المتخصص بوضوح، حيث برز عدد من العلماء الذين قدموا دراسات رائعة، ومن أبرزهم:الرماني والخطابي وابو هلال العسكري ومحمد بن يزيد الواسطي وابو الحسن الأشعري وابن جرير الطبري.

وفيما يلي أهم ما قدم في ذلك العصر:

1. **مذهب الامام ابو الحسن الرماني وذلك من خلال رسالته(النكت في اعجاز القرآن)وهو يرى أن الاعجاز يظهر من سبع جهات: ترك المعارضة مع توفر الداعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية، ونقض العادة، وقياسه بكل معجز.**
2. **مذهب ابو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي، المحدث الأديب الشاعر، وهو يرى اعجازه متحقق من وجوه أوردها في رسالته(بيان اعجاز القرآن) وهي:**

أ. النظم القرآني المتحقق في لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم.
ب. اعجازه النفسي، وذلك من خلال صنيعه في القلوب، وتأثيره في النفوس، ويعتبر رائد القول بالاعجاز النفسي.

كما تكلم عن بلاغة القرآن، وقرر أنها أخذت من كل أقسام الكلام بأحسنه.

٣. مذهب ابو هلال العسكري: ومذهبه في الاعجاز حدده في كتابه(الصناعتين)ويرى أن اعجازه في بلاغته وفصاحته، وانهما يرجعان الى النظم، وحسن التأليف، وعذوبة المعاني، وأثره في النفس، واحداثه تلك الطلاوة في القلوب.

القرن الخامس الهجري

يعد هذا القرن العصر الذهبي لدراسة اعجاز القرآن، حيث برزت فيه الدراسات الأصيلة لقضية الاعجاز، والتي ابتدأت في القرن الرابع الهجري، ونضجت وتكاملت في هذا القرن.
وكان من أبرز علماء هذا القرن:الامام الباقلاني، والقاضي عبدالجبار، والجرجاني، والاسكافي، وابو العلاء المعري، والشريف المرتضى، وابن سراقة، وابن سراقة، وابن حزم الظاهري، وابن سنان الخفاجي، وغير هؤلاء كثير.
وفيما يلي أبرز وأشهر علماء ذلك القرن وخلاصة دراسة كل منهم:

١.مذهب الامام ابوبكر الباقلاني، وقد حدد أوجه الاعجاز في ثلاثة وجوه:

ـ الاخبار عن الغيوب، وضمنه غيب المستقبل والوفاء بالوعد.

ـ الاخبار عن غيوب ماضية، مع أن النبي ﷺ أمي لم يقرأ كتابا ولم يخط بيمينه.

ـ أنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة الى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه.

٢.مذهب القاضي عبد الجبار، وقد بين رأيه في كتابه(المغني في ابواب العدل والتوحيد)وفكرته هي: ان القرآن معجز بنظمه المخصوص، فهو اعجاز كلي لا مجتزأ في أمثلة، ولا يتحقق في افراد الكلام، وانما في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، ولا بد مع الضم أن تكون لكل كلمة صفة من (المواضعة، والاعراب، والموقع).

٣.مذهب الامام عبدالقاهر الجرجاني، الاديب المتكلم، المؤسس لنظرية النظم في اعجاز القرآن، وقد بحث قضية اعجاز القرآن في رسالته(الشافية)وفي كتابه الرائد(دلائل

الاعجاز)وفي (أسرار البلاغة)وتوصل الى أن اعجاز القرآن كائن في النظم المخصوص، الذي يتحلى في وحدته وبنيته الكلية المعجزة، وركز كثيرا على علم المعاني، وسماه بمعاني النحو.

ورد اعجاز القرآن الى خصائص أسلوبية وراء جمال اللفظ ودقة المعنى، هي المعاني الثانية التي تطرد في جميع الآيات.

القرن السادس الهجري

من أبرز من درسوا فكرة الاعجاز في هذا القرن الامام الغزالي، والقاضي عياض، والزمخشري المفسر، وابن عطيه، وابن رشد، والسكاكي.

١. مذهب الامام ابو حامد الغزالي، فهو وان لم يتناول قضية الاعجاز بصورة مباشرة في كتبه(جواهر القرآن)و(احياء علوم الدين)و(الاربعين في أصول الدين) ، فهو يرى أن القرآن قد احتوى على كل العلوم الدينية والدنيوية، وان كل علم هو داخل بالجملة في افعال الله وصفاته، وقد شرح القرآن أفعاله وصفاته، فالعلوم كامنة فيه، ودعا الى استخراجها والكشف عنها،
فالغزالي لم يتكلم عن الاعجاز العلمي وانما قصد التفسير العلمي ، الا أنه هو الذي فتح الباب لمن بعده في فكرة الاعجاز العلمي، وأخذ الرازي هذه الفكرة وطبق تلك المقالة.
كما تضمن كلام الغزالي الاشارة الى الاعجاز التشريعي، وأخذها السيوطي لاحقا وطبقها بتفصيل وحماس.

٢.مذهب جارالله محمود بن عمر الزمخشري: وهو لم يضع كتابا خاصا في الاعجاز وانما تناول القضية عمليا في تفسيره (الكشاف)فعنى به الاعجاز البياني في القرآن، وتملى أسلوب نظمه، وخصائص أسلوبه وتراكيبه، ومزايا بلاغته، واخذ يطبق علوم البلاغة ولاسيما علمي المعاني والبيان على الآيات القرآنية، وجعل محورها الأساسي نظرية النظم عند الجرجاني.

٣.مذهب القاضي عياض، وقد أجمل أوجه الاعجاز من خلال كتابه(الشفا)في أربعة وجوه:

أ. حسن تأليفه، والتئام كلمه وفصاحته، وبلاغته الخارقة عادة العرب.

ب. وجوه نظمه الجيب، والأسلوب الغريب، المخالف لأساليب العرب ومناهجهم في النظم.

ت.ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات مما لم يكن ولم يقع، فوقع بعد كما أخبر.

ث.ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة، والأمم البائدة، والشرائع الدائرة.

أما الأوجه التي عدها من خواصه فهي:

أ.الروعة التي تلحق قلوب سامعيه، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته.

ب.كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا، مع تكفل الله بحفظه.

ت.أن قارئه لا يمله، وسامعه لا يمجه، بل الانكباب على تلاوته يزيده حلاوة.

مذهب ابو عبدالله القرطبي المالكي المفسر المشهور: وقد لخص رأيه في قضية الاعجاز والوجه المعجز في القرآن في مقدمة تفسيره(الجامع لأحكام القرآن)وذهب الى أن اعجاز يتحقق في عشرة أوجه:

١. النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وغيرهم.
٢. الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب.
٣. الجلالة التي لا تصح لمخلوق بحال.
٤. التصرف في لسان العرب على وحه لا يستقل به عربي.
٥. الاخبار عن أمور غيبية من أول الدنيا الى وقت نزوله، على لسان أمي.
٦. الوفاء بالوعد المدرك بالحس في العيان.
٧. الاخبار عن المغيبات في المستقبل التي لا يطلع عليها الا الوحي.
٨. ما تضمنه من علم هو قوام جميع الأمم، في الحلال والحرام وسائر الاحكام.
٩. الحكم البالغة التي لم تجر العادة بأن تصدر كلها عن آدمي.
١٠. التناسب في جميع ما تضمنه ظاهرا وباطنا من غير اختلاف.

ويمكن اعادة تصنيف هذه الوجوه فالأوجه الأربعة الأولى هي تفصيل لوجه الاعجاز النظمي والبياني، والثلاثة بعدها تفصيل للاعجاز الغيبي، والثلاثة الأخيرة في موضوعات القرآن،مما يجعل رأيه يؤول الى ان الاعجاز قائم في النظم والبلاغة، والاخبار بالغيب، وموضوعات القرآن.

القرن الثامن الهجري

من أشهر العلماء الذين بحثوا قضية الاعجاز في هذا القرن:

١.ابن الزملكاني: يقول بنظرية النظم عند الجرجاني.

٢.القزويني: يرى أن الاعجاز بالفصاحة والبلاغة.

٣.ابن تيمية: يرى ان الاعجاز بالبلاغة وباحتوائه على العلوم والأحكام.

٤.ابن قيم الجوزية: وهو يتابع استاذه ابن تيمية، مع امتيازه بالعرض والاستدلال.

٥.ابن كثير: ويقول بالاعجاز البلاغي، وفي موضوعات القرآن، وأثره في النفوس.